التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية

مجموعة مؤلفين

مراجعة: علي متولي أحمد

شهدت المنطقة العربية في الآونة الأخيرة العديد من الأحداث التي لم تشهدها على مدى عقود طويلة، فبعد أن ظل العالم العربي يغرد خارج سرب موجات التغيير والتحول الديمقراطي- أشرق عليه عام 2011 بثوراته ومظاهراته الاحتجاجية ضد أنظمة الحكم القائمة، والتي أطلق عليها فيما بعد ثورات الربيع العربي أو مجازًا "الربيع العربي"، مما أحدث تغييرًا كبيرًا في زعزعة بنية الدولة التسلطية في العالم العربي، وساعد في سقوط بعض الأنظمة العربية، بل وتغيير الخريطة السياسية، ولاسيّما في مصر وتونس، ولاتزال انعكاساته مستمرّة في بقية الدول العربية الأخرى، لذلك كان لثورات الربيع العربي دور فاعل في إحداث التغيير السياسي في المنطقة العربية.

ومن هذا المنطلق جاء كتاب "التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية "يحمل بين طياته صورة العالم العربي التي غيرتها الثورات التي اندلعت في أرجائه منذ عام 2011، ويركز على مفهوم الرأي العام الذي كان غائبًا طوال الحقبة السابقة، والذي سيكون له الأثر الكبير في تقرير مصائر العرب في الحقبة المقبلة. والكتاب مجموعة من الأبحاث شارك بها نخبة من الأكاديميين والباحثين والمفكرين. جاء الفصل الأول بعنوان: "النظام الإقليمي العربي: إستراتيجية الاختراق وإعادة التشكل" للدكتور وليد عبدالحي الذي تناول أسباب قابلية الدولة للاختراق، وهي: الضعف الاقتصادي والسعي إلى تلقي المساعدات، والعجز العسكري والسعي إلى حماية خارجية من أي خطر يهدد بقاء الكيان السياسي، وافتقاد التماسك الاجتماعي والاستعانة بالخارج للإسهام في صوغ البنية المجتمعية، كما أجاب الباحث عن سؤال مهمّ، وهو: هل النظام الإقليمي العربي نظام مخترق؟ وقد رأى الباحث أن النظام العربي بالفعل نظام مخترق، ذاكرًا عوامل ومصادر اختراقه، منها: التهديد العربي- العربي، والتنافس بين الدول العربية لاحتلال موقع "الدولة المركز"، والشركات المتعددة الجنسية باعتبارها تعدّ إحدى أدوات الاختراق من حيث تأثيرها في صنع القرار، ولا سيما الاقتصادي. بالإضافة إلى النخب العربية، يقصد تلك المرتبطة بقوى خارجية لعوامل ثقافية أو اقتصادية أو دينية، مستشهدًا بمقولة الرئيس الفرنسي شارل ديغول: "سنخرج من الجزائر ونترك فيها من يرعى مصالحنا"، ويقصد من ذلك النخبة الجزائرية، ومن مصادر الاختراق أيضًا: الاختراق الخشن، وهو استخدام القوة العسكرية واحتلال الأرض حماية لمصالح الدول الكبرى أو حلفائها في

المنطقـة، وأخيرًا الاختراق الإقليمي، ويقصد به تفعيل الانتماء المذهبي لمصلحة دولة إقليمية.

وأخيرًا تطرق الباحث إلى إستراتيجية إعادة تشكيل الشرق الأوسط التي طرحها شمعون بيريز عام 1993 وتبنتهـا إدارة الرئيـس بيل كلينتـون إلى نهاية عهدها في 2000، وتمسـك بها الرئيس جورج بوش الذي حاول بدوره تسـويقها لحلف الناتو، وبدأ تنفيذها عسكريًّا في العراق وأفغانسـتان، لكنها باءت بإخفاق ذريع لاتزال أمريكا تعاني تداعياته السياسـية والاقتصادية. كما أبرز الكاتب سياسـات مختلفة لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسـط، منها تطوير النظـم الديمقراطية مع إضعاف القـوى المعاديـة للولايـات المتحـدة، والعمـل عـلى تسـوية الصراع العـربي- الإسرائيلي، وتطوير التنسـيق الأوروبي- الأمريكي لمعالجة مشكلات المنطقة.

وفي دراسـته عـن "أهـداف الولايـات المتحـدة وإسـتراتيجياتها في العالم العربي" تناول الدكتور مروان بشارة في الفصل الثاني تحديد مصالح الولايات المتحدة وأهدافهـا في المنطقـة العربية متسـائلًا عـن الاختلاف بـين إدارة أوباما وسـابقاتها في ضـوء وعودها بالتغيير، وخاصة بعد التحولات المأساوية التي تعصف بالمنطقة العربيـة، فأجـاب عـن هـذا السـؤال بالتعمـق أولًا في الجـذور التاريخية للإسـتراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربيـة منـذ انتهاء الحـرب العالميـة الثانية، ذاكـرًا أنها تبنت مناهضة الشـيوعية خـلال إدارة ترومان إيزنهاور ونيكسـون، ودافعت عن حقوق الإنسـان خلال إدارة كارتـر، والتحرر خـلال إدارة ريغان، والسـلام خلال إدارة كلينتـون، والحرية خـلال إدارة بوش، ولم يتطرق الكاتـب للإسـتراتيجية الأمريكيـة التـي تبنتهـا إدارة الرئيـس جـون كينيـدي، ومن وجهـة نظـري أرى أن الإسـتراتيجية التـي تبنتهـا إدارة كينيـدي كانت مختلفة عـن الإسـتراتيجيات السـابقة لـه والتاليـة، فكينيـدي رأى أن سياسـة إدارة إيزنهاور سياسـات مدمرة لمكانة الولايـات المتحـدة الأمريكية في العـالم، وأصرّ على أن الأسـلوب الوحيـد للتنافس مع الاتحاد السـوفيتي هو قبول سياسـة الحياد واقعًا، ومضاهاة السوفييت خطوة بخطـوة في ميادين المعونـة الاقتصادية، ودعم حركات الاستقلال.

ثـم ذكر الباحـث أن الولايات المتحـدة في أوائل السـتينيات -نتيجـة إخفاقهـا في التقـارب مـع مـصر الناصريـة، واحتـواءِ معسـكر القومية العربيـة والنفوذ السـوفيتي في المنطقـة- تبنـت إسـتراتيجية الحـرب بالوكالة في الصراع العربي الإسرائيلي عن طريق دعمها لإسرائيـل، وذلك لتمتـع الأخيرة بتفوقها العسـكري عـلى جميـع جيرانها قبـل عـام 1967، ولعرقلـة النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، عن طريق تدمير جيوش حلفائه وتجهيزاتهم السوفيتية، بالإضافة إلى إستراتيجية النفـوذ الإقليمي التي ظلت على مـدار عقد من الزمان من 1969-1979، وعرفت بعقيدة نيكسون، معتمدة على التفوق العسـكري لإسرائيل وإيران، ولذا تبنتهما" شرطيين إقليميين "أو" نفوذين إقليميين" بغية إضعاف النظام القومي العربي والتحالف السوفيتي العربي.

ثـم تعـرض الكاتـب إلى إسـتراتيجية" [أَسرلـة] السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط" والتي بدأت عقـب أحـداث 11 سـبتمبر 2001 ، وانقسـام النظام العـربي ما بـين دول تؤيـد وتناصر السياسـة الأمريكية وأخرى ضدها، وربط بوش بين الحرية داخل الولايات المتحدة وخارجهـا، من خلال "برنامـج الديمقراطية" الـذي روج له بوش، ممـا أدى إلى تدمير العراق وتمزيق نسيجه الوطني، وتفاقم المشاعر المعادية لأمريكا في نهاية المطاف، وبحلول نهايـة أعوام حربه الثمانية عمق بوش وإدارته من الانقسـامات الإقليمية في إطار إستراتيجية الأمـر الواقع التي عرفتهـا وزيرة الخارجيـة الأمريكية

كوندليـزا رايـس بـ"الفوضى الخلّاقـة" والتي نتج عنها مزيد مـن تمزق العالم العـربي، بدءًا بالعـراق وانتهاء بما شهدناه في السودان وفلسطين ولبنان والصومال .

وأخـيرًا أجاب الباحث عن الاختلاف بين إدارة أوبامـا وسـابقاتها في ضـوء وعودهـا بالتغيـير، وبعـد التحـولات المأسـاوية التي عصفت وتعصـف بالمنطقة العربيـة بقوله: إن التناقض في عهد الرئيس أوباما بات جليًّا بين الخطاب والتصريحات الرنانة والإستراتيجية، إذ أعلـن التزامـه بالانسـحاب مـن الـشرق الأوسـط الكبـير، وعلى النقيـض من ذلك وسـع البيت الأبيض الإسـتراتيجة الأفغانية لتشـمل أفغانسـتان وباكستان، وصعـد الحـرب من خلال الـزج بقوات مـن 50 ألف جندي لمكافحة التمـرد بقيادة الجنرال ديفيد بترايوس، كـما ناشـد بنيامـين نتنياهـو تجميـد بنـاء المسـتوطنات اليهوديـة، لكنـه مـع ذلـك اسـتمر في توفـير الدعـم لإسرائيل بطرق مختلفة، مما جعله أحد أصدقاء إسرائيل الأكثر إخلاصًا في التاريخ الحديث.

كـما تبنـت إدارة أوبامـا سياسـات براغماتيـة تجاه المسـتبدين مـن الحكام العـرب بهدف تحقيـق مزيد من التعـاون الإقليمـي، ولكن مـع اندلاع ثـورات الربيع العـربي في تونس ومـصر، كان هناك نوع مـن الارتباك والتخبط لدى الإدراة الأمريكية، فبعد إدراك الحكومة الأمريكيـة واسـتيعاب الانتفاضات في تلـك الدولتين قـررت إدارة أوباما اتخـاذ موقف انتقائـي يقضي بدعم التغيير في ليبيا وسـوريا، والتزام الصمت تجاه البحرين واليمـن. وبـدأت تؤكد خطـاب التغيـير الديمقراطي استجابة لما بات يُعرف بـ"الربيع العربي"، بل والتعامل مع كل حالة من تلك الثورات على حدة، رافضًا التعامل مع الربيع العربي بمجمله، وخلص الكاتب إلى أن إدارة أوبامـا لا تختلف كثيرًا عن سـابقاتها عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالحها الإستراتيجية الجوهرية في المنطقة العربية.

وناقش الدكتور بشـارة خضر في الفصل الثالث "الاتحـاد الأوروبي والعرب من (الحـوار) إلى (الربيع العربي)"، حيث تعـرض لتوطيد العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والدول العربية والمتوسطية في الخمسين عامًا الأخـيرة" 1972–2012 "وذلـك ضمـن مبـادرات متعـددة، مثل: السياسـة المتوسـطية الشـاملة، والحوار الأوربي –العـربي المتعدد الأطراف "1974–1989"، والشراكة الأوروبية – المتوسطية...إلخ، ولكن مع بزوغ الربيع العربي في المنطقة العربية دفع الاتحاد الأوروبي إلى إعادة التفكير في إستراتيجية جديدة للتعامل مع الوضع الجديـد، نحـو: " المزيد في مقابـل المزيد"، و" المسـاءلة المتبادلة"، و"منطقة تجارية حرة عميقة وشاملة"، ولكن الباحث اسـتنتج أن الاتحـاد الأوروبي يجب عليه عمل مسـار آخر من أجـل أن تتوافق كلماته مـع أفعاله، ففي الوقت الذي يكرر الاتحاد الأوروبي إدانته للسياسـات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، نجد أن هذه السياسـة الإعلانيـة لم يكن لها أفعال ملموسـة على الأرض. فهو يعـزز علاقاته بإسرائيـل في حين أن هذه القـوة المحتلة تقـوم بمصـادرة الأراضي الفلسـطينية واتبـاع سياسـة استيطانية نشطة وعقوبات جماعية.

كما تعرض الأستاذ محمد فايز فرحات في الفصل الرابـع إلى" السـلوك الصينـي –الـروسي إزاء موجـة الربيـع العربي في مـا وراء المصالـح الاقتصادية "تناول فيـه مداخل فهم السـلوك الصيني والعلاقـات العربية بروسـيا والصين بعد الربيع العـربي، وكيف أن الأزمة السـورية بانتهائهـا ستدشـن لنظام عالمي جديد سـواء متعـدد الأقطـاب أو أحـادي القطبية بقيـادة الولايات المتحـدة الأمريكية، وأهمية تطوير العلاقات العربية مع روسيا والصين، وضرورة أن تطور الدولتان خطاباتهما

إزاء قضايا التحول الديمقراطي وحقوق الإنسان في المنطقة، لأنه يبدو من الدولتين أنهما منحازتان للأنظمة السلطوية في مواجهة الثورات العربية.

في حين جاء بحث الدكتورة نورهان الشيخ في الفصل الخامس يحمل عنوان: "روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي" حيث تعرض للتوجهات العامة التي ميزت الموقف الروسي من الثورات العربية، والعوامل المؤثرة في هذا الموقف، والموقف الروسي من الأزمة السورية، ومستقبل العلاقات الروسية- العربية، وخصوصًا علاقة روسيا بدول الخليج العربي، وهيكل النظام الدولي الجديد.

كما تناول الدكتور سمير صالحة في بحثه: "الأهداف والمصالح التركية في النظام العربي" - في الفصل السادس- كيفية تقديم حزب العدالة والتنمية تجربته للآخرين، والعلاقة بين العدالة والتنمية وكثير من الحركات الإسلامية الفاعلة في العالم العربي، والتقاء المصالح التركية والعربية في المستقبل، وأين ستلتقي.

وجاء الفصل السابع بعنوان: "الأهداف والمصالح الإيرانية في النظام العربي بعد الثورات" للدكتور طلال عتريسي، تناول فيه علاقات إيران الاقتصادية والنفطية والإستراتيجية مع دول الجوار الإقليمي قبل الثورات العربية، وتحليل مسار العلاقات العربية- الإيرانية بين الثورة الإسلامية والربيع العربي. كما تسعى الدراسة إلى وضع سيناريوهات للعلاقات العربية الإيرانية في ظل الأوضاع السياسية الراهنة في منطقة الشرق الأوسط، وحرص إيران على مساندة النظام الأسدي في سوريا حفاظًا على تحالف الكتلة الشيعية في منطقة الشرق الأوسط، مستنتجًا أنه نتيجة للدور الإيراني المساند للنظام السياسي في سوريا، تراجعت صورتها لدى الرأي العام العربي، ووضعها في مربع الدول الطائفية، إذ نجدها تعادي المعارضة السورية لكونها سنية، وتساند المعارضة البحرينية لكونها شيعية.

ويحمل الفصل الثامن عنوان: "المحيط الهندي كفضاء جيوستراتيجي :مصالح الهند وباكستان في الوطن العربي، دول الخليج العربي نموذجًا" للباحث عبدالوهاب القصاب، يعرض فيه البيئة الجيوستراتيجية للمحيط الهندي من ناحية علاقة كل من الهند وباكستان باعتبارهما البلدين الكبيرين المطلين على المحيط الهندي، بل ويمتلكان قدرة فاعلة في هذا النظام الجيوستراتيجي ذي الأهمية الفائقة من خلال علاقتهما بالخليج العربي الذي تتصارع فيه مصالح البلدين وتتقاطع.

ويعرض الدكتور محسن صالح في الفصل التاسع "الأهداف والمصالح الإسرائيلية في النظام العربي" حيث سلط الضوء على الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني وطبيعته وسماته وأهدافه ومصالحه التي يسعى إليها في العالم العربي من تشجيع حالات الانقسام في المنطقة العربية والعمل على تفتيته على أسس طائفية وعرقية، بالإضافة للاستفراد بالفلسطينيين وعزلهم عن محيطهم العربي والإسلامي، وكذلك دعم الأنظمة العربية المعتدلة) "الموالية للغرب"، كما تطرق إلى حالة الارتباك التي أصابت المشهد الإسرائيلي نتيجة الثورات في العالم العربي، والتي نتج عنها واقع جديد انعكس على الأوضاع الدولية، بل وربما ينعكس في مستقبله على فلسطين.

وجاء الفصل العاشر بعنوان: "إسرائيل والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي" للدكتور محمود محارب، مشيرًا إلى عوامل الاهتمام الإسرائيلي بالربيع العربي ومنطلقاته، والمخاوف الإسرائيلية من الثورات العربية، ولاسيّما التغيير في مصر وتأثيره في العلاقات الثنائية، ومصير اتفاق السلام، والوضع في سيناء.

ويناقش الباحث حسن أبو هنية في الفصل الحادي عشر "المنظمات والحركات العابرة للحدود" متناولًا نشأة وتأسيس تنظيم القاعدة وارتباطه بظاهرة العولمة، والتطورات التي طرأت على هذا التنظيم بعد ثورات الربيع العربي، ثم تطرق إلى تنظيم أنصار الشريعة: نشأته وتأسيسه وأيديولوجيته، ودرجة اختلاف أيديولوجية هذا التنظيم من دولة لأخرى.

كما ناقش الباحث سليمان سينسوي في الفصل الثاني عشر "التطورات الأخيرة والمشهد الجيوسياسي: وجهة نظر تركية" محللًا أن منطقة الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين منطقة مليئة بالتناقضات العميقة، فإذا تم استثمارها جيدًا وإدارتها بصورة حسنة فسوف يدر ذلك نجاحًا كبيرًا على المنطقة، والعكس صحيح، كما يرى ضرورة تبني الدولة التركية ودول الشرق الأوسط اتجاهات أكثر براغماتية وعمقًا ضمن مفهوم "المخاطر النسبية والاعتماد المتبادل" بدلًا من التوجهات الانفعالية.

وأخيرًا ناقش الباحث محمد صالح صدقيان في الفصل الأخير من الكتاب موضوع "إيران والمتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي: وجهة نظر إيرانية"، متناولًا سياسة إيران الخارجية حيال التطورات العربية، والأمن القومي الإيراني نتيجة تلك التطورات، مستنتجًا أن الأحداث التي تشهدها المنطقة العربية أسفرت عن قطبين، القطب الأول تقوده الولايات المتحدة وتركيا وإلى حد ما السعودية وبعض الدول العربية، والقطب الثاني روسيا وإيران والصين، موضّحًا أهداف دول كل قطب بناء على أهدافها ومصالحها وأمنها القومي.